

الفصل الثالث

الفلسفة الواقعية وانعكاساتها التربوية

مقدمة :

في العصور الوسطى كانت أوربا تعيش عصر الظلمات في الوقت الذي كانت فيه الحضارة الإسلامية في أوجها ، والتقى الأوروبيون بالمسلمين في أماكن كثيرة منها الأندلس وصقلية ومصر وفلسطين وغيرها من بلاد الإسلام، وكانت لقاءات عبر التجارة أو خلال الحروب الصليبية وما تخللها من أوقات الهدنة ، وقد وصف " هيرتسو " في كتابه (علم التاريخ) هذا اللقاء الفكري بين المسلمين والأوروبيين بقوله : لقد خرج الصليبيون من ديارهم لقتال المسلمين فإذا هم جلوس عند إقدامهم يأخذون عنهم أفانين العلم والمعرفة ، لقد بهت الأوروبيون أشباه الهمج عندما رأوا حضارة المسلمين التي رجحت حضارتهم رجحانا لا تصح معه المقارنة بينهما .

وكانت من نتائج هذا اللقاء أن أسرع الأوروبيون الى الاستفادة من الحضارة الإسلامية ، ومن الطبيعي أن الغرب كان أسرع استجابة للعلوم التجريبية التي يمكن التدليل على صحتها لكل عقل لأنها مادية محددة ، وأيضاً لأنها لا تتنافى مع التقاليد المسيحية والطبقية المنتشرة في الغرب في تلك الآونة ، من أجل ذلك أسرع ملوك الغرب في إرسال الطلاب للالتحاق بالجامعات الإسلامية لينقلوا لهم هذه المعارف ، وأجاد الكثيرون من الطلاب الأوروبيين اللغة العربية وافتتنوا بالفكر الذي تلقوه من أساتذتهم المسلمين ، فترجموا عدداً من الكتب العربية في الطب والفلك والرياضيات وفنون المعمار والموسيقى وغيرها من العلوم الطبيعية إلى لغاتهم وراحوا يعلمونها لذويهم عقب عودتهم لبلادهم .

أثمر هذا اللقاء الفكري أن خرجت أوربا من أسر الفكر المثالي واتجهت نحو فهم الواقع المادي والتعامل معه ، وظهرت تباشير فلسفة جديدة في أوربا سميت بالواقعية لاعتقادها بحقيقة المادة ، وإن الحقيقة موجودة في عالم الأشياء الفيزيائية ووجودها حقيقي واقعي ، فكل ما هو موجود في العالم الخارجي ليس مجرد أفكار في العقول لدى الأفراد الذين يلاحظونها ، أو حتى في عقل ملاحظ أزل ، بل موجودة وجوداً حقيقياً في حد ذاتها ومستقلة عن العقل الذي يدركها ، وأن المادة هي الواقع الأقصى .

أولاً أهم مباحث الفلسفة الواقعية :

(أ) الطبيعة البشرية :

الإنسان من وجهة النظر الواقعية أعلى وأرقى ما قدمته الطبيعة ، فهو يأتي على قمة سلم التطور ، وهو جزء من النظام الطبيعي للأشياء ، بمعنى أنه حيوان عاقل خاضع لقوانين الطبيعة ، ويكون عقل الطفل عند مولده كالصفحة البيضاء ، وباتصاله بالواقع من حوله تنطبع في ذهنه المعارف والأحاسيس وبذلك يتعلم الإنسان ، فلا شئ في عقله لم يمر عبر حواسه ، فما في العقل إنما هي صور نقشتها البيئة على سطور تلك الصفحة ، والإنسان تحكمه قوانين الطبيعة والأعراف الاجتماعية ، وأن هناك فروق فردية بين البشر أظهرتها الملاحظة والتجربة العملية .

(ب) المعرفة : يرى الواقعيون أن الأشياء توجد مستقلة عن الإدراك والإنسان يتصل مباشرة مع هذه الأشياء ، وأن ما يراه الإنسان أو يسمعه أو يلمسه ليس أفكاراً أو انطباعات يملئها عقله على هذه الأشياء ، بل هي الأشياء ذاتها ، وأن العقل يقوم بتلقى المعلومات من الواقع بدلاً من أن يملئها عليه ، فالطبيعة هي مصدر المعرفة ، والحواس أدواتها ، والطرق العلمية هي وسائل الحصول على المعرفة ، ومعيار صدق المعرفة يكمن في مدى مطابقة القضية العقلية للواقع المحسوس .

(ج) القيم :

القيم عند الواقعي مستقلة عن النشاط الانساني (تشبه وجهة نظر المثاليين في هذا الجانب) ، فالإنسان لا يصنع قيمه بنفسه ، لكنها لا تأتي من وراء الطبيعة كما في المثالية ، بل تكتشف أما من خلال الملاحظة الدقيقة للطبيعة وما يؤدي إلى التوافق معها ، أو من خلال دراسة السلوك الانساني في المجتمع وما يرقى به ، أو من خلال العون الالهي لدى الواقعيين الدينيين الذين يرون أن العقل الانساني كان بوسعه أن يهتدى إلى القيم من خلال ما سبق لكن العقل الانساني أفسدته الخطيئة الأولى واحتاج إلى العون الالهي في استمداد القيم ، والقيم عند الواقعيين ثابتة ودائمة دوام القوانين الطبيعية التي تحكم نظام الكون وعالم الأشياء .

ثانيا التطبيقات التربوية :

فيما يلي بعض التطبيقات التربوية للفلسفة الواقعية :-

أ (الأهداف التربوية :

- 1- الهدف الرئيسي للتربية الواقعية هو إعداد النشئ ليعيشوا بتوافق مع الطبيعة ، لذلك فهم محتاجون للتدريب على ذلك التوافق وعلى فهم القوانين التي تحكمها ، سواء في ذلك العالم الطبيعي أو الاجتماعي .
- 2- الاهتمام بالبيئة باعتبارها معين التربية ، وأنه لا وجود لقوى فطرية لدى الإنسان .
- 3- الاهتمام بالعلوم التجريبية والممارسات العملية والتركيز على كل ما يرتبط بالحواس .
- 4- الاهتمام بالتربية الجسمية باعتبار أن حواس الجسم هي وسائط المعرفة .
- 5- التركيز على الملاحظة والتجريب وتحليل الشواهد عقلياً .
- 6- الأهداف التربوية ثابتة لأنها مستمدة من الواقع ومطابقة له .
- 7- من أجل تحقيق سعادة الانسان لابد من تنمية الاتجاهات الايجابية نحو الفضائل ، مثل الحث علي التمسك بالصدق و العدالة والتعاون والدقة والنظام وغيرها من الفضائل .

ب (المقررات الدراسية ، وتتسم بالآتي :-

- 1- الاهتمام بدراسة العلوم الطبيعية كالأحياء والكيمياء والفيزياء والرياضيات التطبيقية وغيرها من العلوم
- 2- تطبيق المناهج العلمية في دراسة السلوك الانساني .
- 3- الاهتمام بالجوانب العملية والتطبيقية .

ج (أساليب التدريس وتكنولوجيا التعليم :

- 1- الكلمة المسموعة أو المقروءة هي أهم وسيلة للتدريس ولكن بعد تدعيمها بالوسائل التعليمية والنتائج العملية والرحلات والمعارض .
- 2- إفساح المجال قدر الإمكان للحقائق أن تتحدث عن نفسها .
- 3- اعتماد طريقة الحفظ والتلقين والتسميع للمعلومات .

4-اعتماد الطريقة الاستقرائية في الحصول على المعرفة .

5-يعتمد الواقعيون على تكنولوجيا التعليم بشكل واسع لتمثيل دور الطبيعة وتطوير العلوم .

6-وضع الواقعيون - نظرا لإيمانهم بالفروق الفردية - تربية خاصة للموهوبين وأخرى للمعوقين .

(د) الأبنية المدرسية والمناخ المدرسي :

تتكون الأبنية المدرسية من غرف لكل صف غرفة وأستاذ مستقل ، وتشكل مختبرات العلوم ومراكز الوسائل والاتصال جزءاً أساسياً من البناء المدرسي ، ويفضل المعلم الواقعي أن يكون الجو الدراسي منظم وفعال ويجرى فيه النشاط بجد وهدوء وانضباط شديد .

(هـ) سمات المعلم :-

ويرى الواقعيون ضرورة أن تتوفر في المعلم سمات منها :-

1-أن يكون قدوة لتلاميذه في استعمال الطرق العلمية في الوصول للمعرفة .

2- أن يستثير نشاط التلاميذ لملاحظة عناصر الطبيعة ، ويغرس فيهم أساسيات البحث العلمي .

3-أن يكون المعلم مرجعاً لتلاميذه في النواحي المعرفية فهو يمثل همزة الوصل بين التلميذ والطبيعة.

4-أن يتعاون المعلم مع تلاميذه ويعودهم الاعتماد على النفس .

5- أن يبتعد المعلم قدر الامكان عن العقاب الصارم لأن بعض فلاسفة الواقعية يعارضون العقاب مثل " جان جاك روسو "

6- أن يدرك متطلبات تلاميذه ، لكن ما ينبغي أن يعلمه التلميذ أهم مما يرغب في تعلمه ، فإن اجتماعا (المهم والمرغوب فيه) كان أفضل ، وإلا فما يراه الكبار (المهم) أولى بالتعليم من المرغوب فيه .

(و) الدور المفضل للطالب :-

1-على الطالب أن يتقبل جيداً ما يلقيه المعلم المختص من قوانين طبيعية واجتماعية .

2-أن يسعى التلميذ نحو الابتكار لأن الطبيعة من حوله ابتكاريه.

3-أن ينجزوا ما يكلفون به بانتظام ودقة من خلال قوانين مدرسيه صارمة .

4-يتميز التلاميذ فيما بينهم بالانجاز العلمي .

5- أن يتطلع التلميذ باستمرار إلى معرفة البناء الفيزيائي والاجتماعي للعالم الذي يعيش فيه .

ز (التقويم :

يعتمد الواقعيون على الامتحانات الموضوعية المقننة في اختباراتهم التي تقيس مدى انجاز الطالب ، والامتحانات عملية رسمية ومنظمة وعمل في منتهى الجدية .

ي (النقد التربوي للفلسفة الواقعية :

أولاً بعض ايجابيات هذه الفلسفة :

- 1 - انها اهتمت بالبحث العلمي والتجريب المعمل .
- 2 - أنها ربطت بين التعليم واحتياجات المجتمع وحقت بذلك الكفاءة الخارجية للنظام التعليمي .

3 - أنها أولت اهتماماً ملحوظاً بتكنولوجيا التعليم .

ثانياً بعض الانتقادات التربوية على الفلسفة الواقعية :-

- 1- جعل الهدف من التربية مجرد التوافق مع البيئة الطبيعية فيه انتقاص من قدرة الإنسان على التأثير في بيئته .
- 2- استبعاد أي مصدر للمعرفة بعيداً عن الواقع المحسوس أثر سلباً على الدراسات الدينية وجعلها خارج نطاق العلم .
- 3- عزل الأخلاق عن الدين وجعل مرجعيتها إلى المجتمع ، حرم الأخلاق من الدعم الديني والعقدي لها .
- 4- التلميذ دوره سلبي في العملية التعليمية فهو مجرد متلقى فقط لما يلقيه عليه الكبار دون رأى منه أو إيجابية في المشاركة .
- 5- إهمال رغبات وميول التلاميذ أفقد المؤسسة التعليمية الكفاءة الداخلية .